(١)

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد:

فإن الصدق من مكارم الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّب فيها ، فهو جماع كل خير ، به يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة ، قال تعالى :{فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}، لذا أمر الله (عز وجل) به أهل الإيمان ، فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، وكذلك أوصى به النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).

والصدق كذلك طريق الفائزين وصفة من صفات المتقين ، قال تعالى:{وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، وهو سبب النجاة من أهوال يوم الدين ، قال تعالى:{قَالَ اللَّهُ هَـذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ولمنزلة الصدق وبيان مكانته عند الله (عز وجل) جعل الله تعالى الصديقين مع النبيين في المنزلة ، فقال تعالى :{... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، وهو أحد أمور ستة إذا

حُفظت ضمن النبي (صلى الله عليه وسلم) لصاحبها الجنة ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)، ولله در من قال:

أصدق يريك إله العرش جنته **** يوم المعاد ولا تولع بتكذيب

إن الصدوق لدى الرحمن منزله *** دار الخلود بلا موت وتعذيب

وكما أن الصدق من الصفات المحمودة فالكذب من السلوكيات المذمومة التي حذَّر منها القرآن الكريم ، فهو علامة من علامات النفاق ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) ، فاقتران الكذب بالخيانة دليل على شدة حرمته ، ولقد نفى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الكذب عن المؤمن ، حين سئل: " أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ فَقَالَ : (نَعَمْ) فَقِيلَ لَهُ : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلاً ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَقِيلَ لَهُ : أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟ فَقَالَ: (لاَ) " وما ذاك إلا لأن الكذب صفة ذميمة تعرض الإنسان لعقاب الله (عز وجل) ، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}، وقال سبحانه:{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}.

وجدير بالذكر أن الصدق له مجالات متعددة ، منها : تحري الصدق في المعاملات المالية ، فإن الصدق في البيع والشراء يورث البركة في كل شيء ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (الْبَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا – أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا – فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) .

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعلو منزلة ودرجة التاجر الصدوق الأمين في بيعه وشرائه ، فقال: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا، وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا، وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا ، وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَذُمُّوا، وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا). والتاجر الصدوق في ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، قال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وقد اشتغل النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بالتجارة حينًا من الدهر مع أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) ، فكان خير مثال للتاجر الصادق الأمين في بيعه وشرائه وسائر أحواله ، فعَنِ السَّائِبِ بن أبي السائب (رضي الله عنهما) قَالَ : (أَتَيْتُ النبي (صلى الله عليه وسلم) فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا أَعْلَمُكُمْ) يَعْنِي بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعْمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لاَ تُدَارِي وَلاَ تُمَارِي) أيْ : لا تُخْفِي عيبًا في سلعة ولا تُجادِل بالباطل، وجاء في مكاتبته (صلى الله عليه وسلم) لِلْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدٍ (هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْعَدَّاءِ بْنِ خَالِدٍ ، بَيْعَ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمَ ، لاَ دَاءَ ، وَلاَ خِبْثَةَ ، وَلاَ غَائِلَةَ) ، والخِبثَة نوع من أَنْوَاع الْخبث ، وَقيل: المُرَاد الْأَخْلَاق الخبيثة ، (وَلَا غائلة) أَي: وَلَا فجور ، وقيل: معنى الغائلة : الحيلة ، أي : لا حيلة عليك في هذا البيع. ونفي هذه الأشياء بيان بأن المبيع سالم عنها وليس فيه كتمان شيء من ذلك.

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة لصدق وأمانة متعاقدين فحلت بسببهما البركة والألفة وتحقق الود المطلوب تحقيقه بين المسلمين، فقد قَالَ

النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا؛ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ ؛ قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلاَمَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر التجار بالصدق والأمانة ، ويحذرهم من سوء العاقبة لمن كذب وخان في معاملاته مع الناس ، فقد خَرَجَ (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ) ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ : (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا ، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ) .

وكما رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) التجار في الصدق حذرهم من خطورة الكذب في البيع والشراء ، وخاصة من يروج بضاعته بالحلف الكاذب ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاَثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه : (إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ).

وهذا يدل على أن التاجر المسلم يجب أن يتحرى الصدق ويتحلى به في معاملاته، وأن يكون قدوة حسنة لغيره ، ولقد حدثنا التاريخ عن بلاد فتحها المسلمون ودخل أهلها الإسلام دون قتال ، ولكنها فُتحت ببركة صدق التجار المسلمين

وأمانتهم ، وحسن أخلاقهم ،كبلدان جنوب شرق آسيا كأندونيسيا وماليزيا والفلبين وغيرها ، فالصدق والأمانة في التجارة مِنْ أهم العوامل التي تَجْلِبُ الثقةَ وتحقق التوادَّ ، وتنشر الخير ، بينما الكذب والخِداع في التجارة مِنْ أكبر معاول الهدم في بنيان الاقتصاد الوطني ، فيبدد الثقة ، ويمحق البركة ، وهو نذير شؤم لهلاك المجتمعات كما أهلك من كان قبلنا ، ومِنْ أجْلِ ذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما) لأصحاب الكيل والوزن: (إنّكم قد وُلِّيْتُمْ أمْرًا فيه هَلَكَتِ الأممُ السالِفةُ قَبْلَكُمْ).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن التجارة في الإسلام تحكمها قيم أخلاقية وضوابط شرعية ينبغي على التجار التحلي بها، فقضية البيع والشراء في الإسلام قائمة على أسس الصدق، والأمانة، والعدل، والرضا والقبول، والتراضي بين المتعاقدين ، والوضوح التام، بعيدًا عن الكذب والخيانة ، والظلم والغرر ، واستغلال حاجات الناس، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لأَلْقِيَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ).

والتاجر الصدوق هو الذي يكشف للمشتري ما في السلعة من عيب ، إذ لو كتمها لكان كاذبا في بيعه ظالما لنفسه ولغيره ، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من ذلك قائلاً : (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى

بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ).

ألا فليعلم كل تاجر كَذب في بيعه ليحقق ربحا من حرام أن هذا المال الحرام لا ينتفع به صاحبه أبدًا ، بل فيه هلكته وخسارته في الدنيا والآخرة ، ولو كان إنفاقه في وجوه الخير ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ مَأْثَمٍ، فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جُمِعَ ذَلِكَ جَمْعًا، فَقُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ).

ولقد تبرأ الإسلام من كل صور الكذب والغِشّ والخداع التي تصدر من بعض التجار بغير حق ، مرَّةً بالثناء عَلى السلعةِ بالباطل ، وأخرى بِكِتْم عيوبها، وثالثة بتطفيف كيلها ووزْنِها، وهذا ما وضحه النبي الأمين (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حين مَرَّ عَلَى صُبْرةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقَالَ: أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ ثُمَّ قَالَ : (مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنّ)، إنه تحذير من النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحاب الضمائر الفاسدة التي لا تراقب ربها سرًّا ولا علانية ، وتحذير لكل من تسول له نفسه الخبيثة غش الناس وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل .

فالصدق في البيع مِن الأخلاق الكريمة ، والقيم النبيلة والسلوك القويم التي يتقدم بها المجتمع ، وهذه أخلاق المؤمن الحق الذي يراعي حقوق العباد في بيعه وشرائه ، فتكون تجارته نافعة ، ومكسبه طيبًا حلالاً ، فيسعَد في دنياه وأخراه ، أما الكذب والخداع والتدليس والغش وغيرها فهي من الأخلاق السيئة ، ومن الأساليب الخبيثة التي ينبغي على كل تاجر أن يترفّع عنها طاعةً لربّه، وصيانة لعرضه ودينه،

ومحافظة على أموال الناس كما يحافظ على ماله نفسه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك

وأغننا بفضلك عمن سواك يا أرحم الراحمين.